أ.د العلمي لراوي

محاضرات مطولة في النقد الأدبي القديم

السنة الأولى. السداسي الثاني

المجموعة الثانية الأفواج: 5،6،7،8

أ.د العلمي لراوي 2022/03/04

1- النقد الانطباعي مفهومه ومجالاته ونماذج من نصوصه في:

أ. الحجاز
ب. في الشام والعراق

2- مفهوم الشعر عن النقاد المشارقة والمغاربة

- قضية الانتحال عند النقاد
- قضية لفحولة عند النقاد
- قضية اللفظ والمعنى عند ابن قتيبة
- قضية الصدق

ملاحظة: النماذج النصية يرجى العودة الى المصنفات الاتية

1. الشعر والشعراء - عبد الله ابن مسلم بن قتيبة.
2. طبقات فحول الشعراء - محمد بن سلام الجمحي.
3. الموشح - محمد بن عمران بن موسى المرزباني
4. دلائل الاعجاز- عبد القاهر الجرجاني
5. البديع - عبد الله ابن المعتز.
6. فحولة الشعراء - الأصمعي.
7. منهاج البلغاء سراج الأدباء - حازم القرطجني.
8. العمدة في صناعة الشعر ونقده - ابن رشيق المسيلي
9. الممتع - عبد الكريم النهشلي.

مفهوم الشعر عن النقاد المشارقة والمغاربة المحور الأول

ان غياب القاعدة النقدية ، التي تكون أساسا للحكم النقدي، جعل النقد يتطبع بطابع الذّاتية ، وفقد الشروط العلمية التي تدفع به الى مستوى تقويمي صائب سليم ، يساهم في انارة الرؤية النقدية وتعميق الفكر النقدي ، والابتعاد به عن الانطباعية الانفعالية والذّاتية المرحلية . هذا الفراغ جعل ابن سلام يفكر في اخراج النّقد من هذه الوضعية الانفعالية والذهاب به في درب آخر مغاير تماما للدّرب الاول في الأسس والنتائج ، ويتمثل ذلك في وضع القاعدة النظرية أو المنهج

(1) هو أبو عبد الله محمد بن سلام بن عبد الله بن سالم الجمحي البصريّ، مولى قدامة بن مظعون الجمحي مولده بالبصرة في سنة 139 هـ ، ووفاته في سنة 231 هـ أو سنة 232 هـ ببغداد وابيضت لحيته ورأسه ولمته سبع وعشرون سنة ، وعمّر نحوا من ثلاث وتسعين سنة ، وسمع شيوخ العلم والحديث والأدب ، وسمع منه شيوخ العلم والحديث والأدب . وله من الكتب : 1 ـ كتاب الفاصل ، في ملح الاخبار والأشعار. 2 ـ كتاب بيوتات العرب . 3 ـ كتاب طبقات الشعراء الجاهليين . 4 ـ كتاب طبقات الشعراء الاسلاميين . 5 ـ كتاب الحلاب واجراء الخيل . 6 ـ كتاب غريب القرآن . 7 ـ كتاب صفات الجبال والأودية وأسمائها بمكة وما وراءها . 8 ـ كتاب لغات هذيل .

- طبقات فحول الشعراء ـ ابن سلام الجمحي : تحقيق محمود محمد شاكر ـ مطبعة المدني القاهرة ص 34 ـ 35 .
- الفهرست ـ محمد بن اسحاق النديم : تحقيق د . مصطفى الشويمي نشر: الدار التونسية للنشر والمؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر سنة 1985 ص 501 ـ 502

النقد ي النظري ، الذ ي يجب أن يلتزمه الناقد في تعامله مع الشعر والشعراء . وبهذا وضع ابن سلام حدا فاصلا بين النقد الانطباعي وبين النقد الموضوعي الذ ي ينطلق من قاعدة علمية ويحكم على الانتاج الأدبي هذه القاعدة بكل حياد تام .

ونستطيع أن نميّز في اتجاه ابن سلام الموضوعي عنصرين قد يكونان أساس الرؤية النقدية لدى ابن سلام .
أولهما يركز على شخصية الناقد وضرورة تمييزه عن بقية الممارسين للأدب . ثانيهما الأسس المعتمدة في العملية النقدية .

أ ـ النّاقد :

ان الاهتمام بالنّاقد ومحاولة بلورة شخصيته أدى بابن سلام الجمحي التعرض الى طبيعة الشعر لكي يمرّ بعد ذلك حتمية وجود مختص يتعامل مع الشعر ، وقد كانت بعض الصناعات والعلوم في عصره قد استقلت واتضحت مجالاتها ، كما تحدد أهلها القائمون بها ، انطلاقا من هذا دعم فكرة التخصص في الشعر . فوازن بين الشعر وبين الصناعات المختلفة ، ((والشعر صناعة وثقافة يعرفها أهل العلم بها كسائر أصناف العلم والصناعات))(1)

وقد وقعت المقارنة بين الشعر والصناعة لاختصاص كل منهما بالابداع والابتكار ((فالصناعة لا يزاولها الا الفنان أو الصانع الصنّاع الذ ي يختار لها المادة الجيّدة والأوضاع الجيّدة وقد يقصر بحسب تمكّنه من صناعته فاذا اجتمعت جودة المادة الى جودة القالب وهو الهيئة الحاصلة

(1) ابن سلام : طبقات فحول الشعراء ج 1 ص 5 .

فـد لفنـان متكنـا مـن صناعتـه ، وكذلـك سمـي الأدب " صناعـة " لمـا فيـه مـن المهـارة فـى اصابـة المعنـى أو ابتكـار الخيـال أو جمـال الفكـرة وحسـن الصيـاغة والتأنـق فـى الأسلـوب))[1]

وبنـاء علـى هـذا تكـون لفظـة " صناعـة " تنطبـق علـى الشعـر والتـى مـن خلالهـا اتضحـت طبيعـة الشعـر .

أمـا لفظـة ثقافـة فانهـا تعنـي الجانـب النقـدى فـى الشعـر ، اذ يفتـرض فـى كـل مشتغـل بالأدب أن يحصـل علـى قـدر كـاف مـن العلـم والمعرفـة تخـول لـه الوقـوف علـى أسـرار الصناعـة البيانيـة ، ومـن ثـمّ يصـدر حكمـه فيهـا .

ولتدعيـم فكـرة الاختصـاص فـى النقـد تقـدم عـدة أمثلـة مـن الصناعـات المختلفـة ((مـن ذلـك اللؤلـؤ والياقـوت ، لا تعرفـه بصفـة ولا وزن ، دون المعاينـة مـن يبصـره . ومـن ذلـك الجهبـذة بالديـنار والدّرهـم ، لا تعـرف جودتهمـا بلـون ولا مسّ ولا طـراز ولا وسـم ولا صفـة ، ويعرفـه النّاقـد عنـد المعاينـة ، فيعـرف بهـرجهمـا وزائفهمـا وستوقهمـا وفلوسهمـا))[2]

الصفـات الخارجيـة للؤلـؤ والياقـوت والدرهـم والديـنار ، لا تتيـح القـدرة الكافيـة للحكـم علـى صدقهمـا أو زيفهمـا ، وهـذا يعنـي أن هنـاك عناصـر داخليـة لهـذه المـواد يتوقـف عليهـا الفـرز الحقيقـي لهـذه المعـادن ، وهنـا تأتـي أهميـة التخصـص التـى يهـدف اليهـا ابـن سـلام اذ لا ينفـذ الـى العناصـر الدّاخليـة الا أصحـاب الخبـرة ، والمعرفـة بأمـور هـذه المعـادن ، بينمـا صفاتهـا الخارجيـة فهـى متنـاول العامـة مـن النّـاس ، وهـي ليسـت ذات خطـر فـى الادراك الحقيقـى .

هـذه الصفـات الشكليـة والداخليـة فـى المـواد الصناعيـة تقابلهـا أمـور شكليـة وجوهريـة فـى الشعـر ، والتعامـل مـع النـص الشعـرى مـن الخـارج والا[illegible]ـاء

---

1) لدكتـور بدوى طبانـة : دراسـات فـى نقـد الأدب لعربـى دار [illegible]فة بيـروت ط 6 ص 171

2) بن سـلام الجمحـي سطبقـات لشعـراء . ج 1 ص 5

بالاستجابة الفورية لهذا الشكل وبالتالي الحكم عليه لا يجدي شيئا في الكشف عن حقيقة الشعر، وانما يلزم لذلك أناس يحملون قدرا من العلم والمعرفة تساعدهم على الغوص في أعماق الابداعات الأدبية، وبذلك تكون النتيجة أو الحكم الذي ينتهون اليه هو الحكم الصحيح والسليم الذي يعتد به، ((فكل مهتم بصناعة لابد أن يعرف أسسها وقواعدها ليحصل له القدرة على امتحانها، وممارسة الفرز ليتجاوز ما يشتبك فيه جميع الناس الى ما يميزه)). (1)

هذا هو النّاقد الذي يسمي ابن سلام الى بلورة شخصيته الأدبية واضفاء طابع التخصص عليها بعد أن كانت موزعة بين جميع الناس.

وهذه هي الخطوة التي قام بها ابن سلام في طريق النقد الموضوعي، وهي نقلة من طور الاستجابات التأثرية الى ميدان النظرة الموضوعية المتخصصة التي تقوم على أساس أو اطار علمي معمّق.

ب - الأسس المعتمدة في العملية النقدية :

الذوق :

فرق ابن سلام بين نوعين من الذوق، الذوق الفطري الذي هو ملكة فطرية يتمتع بها كل انسان، والذوق الفني الذي تفرزه كثرة المزاولة للأعمال الأدبية.

ولم يكن ابن سلام تدخل الذوق في الحكم على الأدب وانما حاول بداية أن يحدد هذه الحاسة واختلاف درجتها بين الناس، وما يؤدي الى فارق في الحكم، وكالعادة يجسد ذلك برعينات انتقاها من المجتمع تعكس

(1) عمار بن مقاييس النقد عند ابن سلام - رسالة ماجستير معهد الآداب واللغة العربية سنة 1981 ص 67

بوضوح دور الذوق في التمييز بين الأشياء .

1 - الوقيق : ((وكذلك بصر الوقيق ، فتوصف الجارية فيقال : ناصعة اللون جيّدة الشطيب ، نقيّة الثغر ، حسنة العين والأنف ، جيّدة النهود ، ظريفة اللسان ، واردة الشّعر ، فتكون في هذه الصفة بمئة دينار ، وبمئتي دينار ، وتكون أخرى بألف دينار وأكثر ولا يجد واصفها مزيدا على هذه الصفة .

2 - الصوت : ويقال للرجل والمرأة ، في القراءة والغناء : انه لندى الحلق ، طلّ الصوت ، طويل النفس ، مطيب للّحن - ويوصف الآخر بهذه الصفة وبينهما بون بعيد ، يعرف ذلك العلماء عند المعاينة والاستماع له ، بالصفة ينتهي اليها ، ولا علم يوقف عليه (1)!

الفاضلة تمّت بين الجاريتين ، وكذلك بين الصوتين رغم اتفاقهما في جميع الصفات ، ولا توجد علّة موضوعية لتبرير هذه المفاضلة وإذن فالذوق هو الذي تدخل وفاضل بين هذه الأمور .

ولكنّ ابن سلام بعد أن يضع يده على حاسة الذوق ويحدد وظيفتها في الانتقاء لا يعتّد بهذه الملكة في شكلها الفطري : ((قال قائل لخلف اذا سمعت أنا بالشعر أستحسنه فما أبالي ماقلت أنت فيه وأصحابك . قال اذا أخذت درهما فاستحسنته ، فقال لك الصّرّاف : انه ردي ! فهل ينفعك استحسانك اياه ؟)) (2)

فالاستحسان الذي مردّه الذوق الذاتي لا يصلح للفرز والانتقاء والحكم لأنه لم يصقل ولم يدّرب ، وانّما الذوق الذي يعتد به والذي لا غنى للناقد منه هو الذوق الفني الذي تشكل نتيجة للاشتغال الكبير

---

(1) ابن سلام الجمحي : طبقات فحول الشعراء ج 1 ص 6

(2) ابن سلام الجمحي - طبقات فحول الشعراء ج 1 ص 7

بالأعمال الأدبية ((وأن كثرة المدارسة لتعدي على العلم به ، فكذلك الشعر يعلمه أهل العلم به))[1]

ولهذا لا يسع الفرد العادي الا أن يتذوق الشعر ويحتفظ بذوقه ويترك الحكم والمفاضلة للعلماء الذين اشتغلوا لفترة طويلة بالشعر كما تزودوا بالمعارف الخاصة والعامة لتي تؤهل لهم الدراسة في هذه المجالات

((قال خلاد : وكان حسن العلم بالشعر يرويه ويحوله لخلف الأحمر: بأي شيء تجد هذه الأشعار التي تروى؟ قال له : هل فيها ما تعلم أنت أنه مصنوع لا خير فيه ؟ قال : نعم . قال : أفتعلم في الناس من هو أعلم بالشعر منك ؟ قال نعم . قال : فلا تنكر أن يعلموا من ذلك أكثر مما تعلمه أنت))[2]

انطلاقا مما سبق نستخلص أن الممارسة النقدية تقوم على أساسين

1 - الذوق الفني : والذي لا غنى عنه لأي ناقد ، ونسجل هنا هذه الاشارة المبكرة لدور الذوق الفني في الحكم ، والذي لا شعور عنه اذا ما أحسن استخدامه

2 الدربة والممارسة ، وهذا لصقل الذوق من جهة ، وليكتسب الناقد معارف عامة وخاصة بالشعر من جهة أخرى .

---

(1) المرجع نفسه ج 1 ص 7

(2) المرجع نفسه ج 1 ص 7

2 ـ الأسس المعتمدة في طبقات فحول الشعراء.

1 ـ الزمن :

أقام ابن سلام تصنيفه للشعراء على أساس زمني ، اذ قسّم الشعراء الى قسمين ، قسم جاهلي وقسم اسلامي ، وهذا ادراكا منه لما اتّسم به فن الشعراء الجاهليين من مميزات تختلف عن العصر الاسلامي الذي تأثر شعراؤه بما جاء في الدين الجديد من مبادئ وقيم ، وبما حدث في الحياة الاجتماعية والسياسية من تطور وتغيير.

وقد رتب الشعراء في القسمين في عشر طبقات واضعا أربعة شعراء في كلّ طبقة ، وفي ذلك يقول : ((ففضّلنا الشعراء من أهل الجاهلية والاسلام والمخضرمين الذين كانوا في الجاهلية وأدركوا الاسلام فنزلناهم منازلهم ، واحتججنا لكلّ شاعر بما وجدنا له من حجة وما قال فيه العلماء))[1].

ثمّ قال أيضا ((فاقتصرنا من الفحول المشهورين على أربعين شاعرا ، فألفنا من تشابه شعره منهم الى نظرائه فوجدناهم عشر طبقات أربعة رهط كلّ طبقة ، متكافئين معتدلين))[2]

بدأ بالشعراء الجاهليين فقدم لنا الطبقة الاولى والتي تتكون من : امرئ القيس بن حجر ، والنابغة بني ذبيان ، وزهير بن أبي سلمى ، والاعشى.

وقد استند في تقديمه لهؤلاء الشعراء على آراء العلماء الذين سبقوه أو عاصروهم وعلى ما وجد من حجة في شعرهم ، فقال : ((انّ علماء البصرة كانوا يقدّمون امرأ القيس ، وأهل الكوفة كانوا يقدمون الأعشى وأن أهل الحجاز والبادية كانوا يقدّمون زهيرا والنابغة))[3]

---

(1) ابن سلام طبقات الشعراء ج 1 ص 23 ـ 24

(2) المصدر نفسه ج 1 ص 24

(3) المصدر نفسه ج 1 ص 52 .

واحتج لتقديم امرئ القيس بما يلي : ((ماقال مالم يقولوا ولكنّه سبى العرب اى أشياء ابتدعها واستحسنتها العرب واتبعته فيها الشعراء استيقاف صحبه والبكاء فى الديار ورقة النسيب وقرب المأخذ ، وشبّه النساء بالظباء والبيض وشبّه الخيل بالعقبان والعصي ، وقيّد الاوابد وأجاد فى التشبيه ، وفصل بين النسيب وبين المعنى))[1]

وأحتج لتقديم النابغة : ((وقال من احتج للنابغة : كان أحسنهم ديباجة شعر ، وأكثرهم رونق كلام وأجزلهم بيتا ، كان شعره كلاما ليس فيه تكلّف))[2]

وأحتج لتقديم زهيرا بن أبى سلمى : ((قال أهل النظر: كان زهير أحوطهم شعرا وأبعدهم من سخف القول ، وأجمعهم لكثير من المعنى فى قليل من المنطق وأشدّهم مبالغة فى المدح وأكثرهم أمثالا فى شعره))[3]

وأحتج للأعشى : ((وقال أصحاب الأعشى : هو أكثرهم عروضا وأذهبهم فى فنون الشعر ، وأكثرهم طويلة جيدة وأكثرهم مدحا وهجاء وفخرا ووصفا كل ذلك عنده))[4]

هذا نهج ابن سلام فى ترتيب الشعراء فى طبقات وقد كان ذلك مثلا لتصنيف النقّاد وفق معيار الكثرة وتعدد الأغراض والجودة والاحتكام الى رأى العلماء وشيوخ الأدب .

ونفس الطريقة تعامل مع الشعراء الاسلاميين واضعا اياهم فى عشر طبقات جعل فى الطبقة الاولى : الفرزدق ، وجرير ، والأخطل ، والراعي وارتكز على آراء العلماء كعادته لجعلهم فى طبقة أولى ، ولكنه لم يستطع

---

(1) ابن سلام طبقات الشعراء ج 1 ص 55

(2) المصدر نفسه ج 1 ص 56

(3) المصدر نفسه ج 1 ص 64

(4) المصدر نفسه ج 1 ص 65

أن يقدم أحدا من الرابعة ، لأنه لم يظفر برأي من العلماء يجمع على تقديم أي منهم ، فقد اختلف العلماء أشد الاختلاف وخاصة في الثلاثة جرير والفرزدق والأخطل . أما الرّاعي فيتأخر عنهم ، قال ابن سلام : ((سمعت يونس بن حبيب يقول : ما شهدت مشهدا قط ذكر فيه جرير والفرزدق ، فأجمع أهل ذلك المجلس على أحدهما)) (1)

أما بخصوص المخضرمين من الشعراء ، فقد وزّعهم بين القسمين ، وقد عمد الى هذا بناء على ما لاحظه على فن الشاعر ، فهناك من شهد الاسلام ولم يتأثر بالدين الجديد في شعره وهذا نظرا للطبيعة الفني وهذا الصنف الحقه بالجاهليين في حين من شهد الجاهلية وعاش في الاسلام وتأثر به ضمّه الى القسم الاسلامي فقد صنّف كعب بن جعيل في الثالثة من الاسلاميين وقد عاش في الجاهلية كما جعل حميد بن ثور في الرّابعة من الاسلاميين وهو مخضرم .

الفن :

الحق بالقسم الجاهلي شعراء عرفوا بفن واحد وان كانوا قد قالوا في بقية الأغراض الا أنه غلبت على فنّهم هذه النزعة الانسانية فجمعهم في طبقة واحدة وهم : هدبة بن خويرة والخنساء وأعشى باهلة ، وكعب بن سعد الغنوي . الا أنه لم يرتّبهم وانما قال والمقدّم عندنا حكم بن خويرة)) (2)

المكان :

تعرض لشعراء القرى العربية وهي خمس : المدينة ومكة والطائف

---

(1) ابن سلام طبقات الشعراء ج 1 ص 299

(2) المصدر نفسه ج 1 ص 204

واليمامة والبحرين))[1] وقد علّل قلة الشعر في بعض المدن بالاستقرار فقال : ((بالطائف شعر وليس بالكثير ، وانما كان يكثر الشعر بالحرب التي تكون بين الأحياء نحو حرب الأوس والخزرج أو قوم يغيرون ويغار عليهم . والذي قلّل شعر قريش أنه لم يكن بينهم ثائرة ولم يحاربوا وذلك الذي قلّل شعر عمان وأهل الطائف))[2]

والواقع انه لا يمكن أن نسلم لابن سلام بذلك اذ ظهر في الحجاز شعر كثير انتجه شعراء امثال عمر بن أبي ربيعة وغيره نقول ذلك ونحن نعلم أن الحجاز عاشت حياة ترف واستقرار في العصر الاول من الاسلام . ولذلك فليس بالضرورة أن يكثر الشعر بالحروب والفتن وانما ذلك قد يكون احد العوامل المساعدة على قوله .

المذهب :

وهذا يظهر في جمعه لشعراء اليهود في طبقة مستقلة وهم : السموأل ، والربيع بن أبي الحقيق ، وكعب بن الأشرف ، وشريح بن عمران وسحيمة بن التريض وأبو قيس بن رفاعة وأبو الذيال ودهم بن زيد .

تقويم جهد ابن سلام النقدي :

ان الاساس الذي أقام عليه كتابه طبقات الشعراء لم يكن جديدا كل الجدة بل استلهم معظم أفكاره من الحركة الفكرية التي كانت سائدة في عصره اذ نجد الفكرة الاساسية التي أقام عليها كتابه وهي تنظيم الشعراء في طبقات لم تكن نتيجة جهده أو بحثه في الشعراء ، وانما هذه الفكرة تردّدت كثيرا بين المهتمين بالشعر

(1) المصدر نفسه ج 1 ص 215 .

(2) ابن سلام طبقات فحول الشعراء ج 1 ص 259 .

من علماء ورواة وحتى الشعراء أنفسهم ، فنجد الشاعر لبيد بن ربيعة يقول : ((أشعر الناس ذو القروح يعني امرأ القيس ثم ابن العشرين يعني طرفة بن العبد ثم صاحب المحجن يعني نفسه))[1]

وكذلك يونس بن حبيب ، وكثيرا ما كان ابن سلام يستند على أحكامه في تبويب وترتيب للشعراء أو احلالهم في رتبة معينة فقد كان يونس بن حبيب يقول : ((ان علماء البصرة كانوا يقدمون امرأ القيس ، وأن أهل الكوفة كانوا يقدمون الأعشى ، وأن أهل الحجاز كانوا يقدمون زهيرا والنابغة ، وكان أهل العالية لا يعدلون بالنابغة أحدا كما أن أهل الحجاز لا يعدلون بزهير أحدا))[2] .

أما عمرو بن العلاء ، فكان يعتبر أربعة من الشعراء أربعة : امرؤ القيس ـ والنابغة ، وطرفة بن العبد ومهلهل))[3]

كما قال : أبو عبيدة : ((طرفة أجود هم واحدة ولا يلحق بالبحور يعني امرأ القيس وزهيرا والنابغة ولكنه يوضع مع أصحابه الحارث بن حلزة وعمرو بن كلثوم وسويد بن أبي كاهل))[4]

وقال أيضا : ((الأعشى هو رابع الشعراء المتقدمين وهو يقدم على طرفة لأنه أكثر عدد طوال جياد وأوصفهم للخمر ، وأمدح وأحسن ، فأما طرفة فانما يوضع مع الحارث بن حلزة وعمرو بن كلثوم وسويد بن أبي كاهل في الاسلام))[5] .

---

(1) ابن قتيبة الشعر والشعراء ج 1 ص 105 .

(2) ابن سلام : طبقات فحول الشعراء ج 1 ص 52

(3) ابن رشيق العمدة ج 1 ص 79 .

(4) ابن قتيبة الشعر والشعراء ج 1 ص 130 .

(5) المرجع السابق ص 263 .

هذا كلّه دليل على أن فكرة الطبقات ليست فكرة مخترعة وانما هي حصيلة تفكير نقاد القرن الأول والثاني ، ولا يغيب عن ذهننا أن ابن سلام عاش في النصف الثاني من القرن الثاني ، واتصل بكثير من العلماء أو سمع عمن روى عنهم فتأثر بالحقائق التي نصّوا عليها وبنى عليها طبقاته. والاضافة التي يمكن أن نسجلها لابن سلام هي تنظيم هذه الآراء وتشكلها في قاعدة نقدية عامة تجريدية حيادية تطبق على جميع الشعراء أسس هذه القاعدة والمقاييس التي تتضمنها هذه القاعدة هي :

أ ـ الكثرة :

ويعني بها كثرة ما روى من شعر الشاعر وبذلك جعل كلا من امرئ القيس والنابغة الذبياني ، وزهير بن أبي سلمى والأعشى في الطبقة الأولى من الجاهليين وهذا الترتيب هو نفسه الترتيب الذي ساد قبل ابن سلام وفي ذلك يقول ابن سلام ((اخبرني يونس ابن حبيب أن علماء البصرة كانوا يقدمون امرأ لقيس وأهل الكوفة كانوا يقدمون الأعشى ، وأن أهل الحجاز كانوا يقدمون زهيرا والنّابغة ، وقال أيضا أن تقديم ابن اسحاق للمرقش لم يقله أحد ولم يشع))[1]

ومقياس الكثرة هذا جعله يؤخر طرفة بن العبد في حين نعرف أنه كان مقدّما عند علماء ذلك الوقت ، وهذا ما عرفناه من قول لبيد: ((أشعر النّاس والقروح يعني امرأ القيس ثم ابن العشرين يعني طرفة بن العبد ثم صاحب المحجن يعني نفسه))[2]

فثمة شيء مع مقياس الكثرة تحتّم عليه أن يضع طرفة في الطبقة الرّابعة

---

(1) ابن سلام طبقات فحول الشعراء ج 1 ص 52

(2) ابن قتيبة الشعر والشعراء ج 1 ص 105

من الجاهليين ويعلل ذلك ابن سلام بقوله : ((قلّة ما بأيدي الرواة من شعرهم مع أن شعر هؤلاء من ناحية الجودة يوازي اشعار الاوائل))[1]
وهنا نلاحظ بشكل واضح أن المقياس الذي وضعه ابن سلام قد بقي وفيا له على الرّغم من الآراء التي وجدها أمامه تقدم بعض الشعراء المقليين ومعنى هذا أن المقياس أو القاعدة هي التي أصبحت تتحكم في التصنيف وليس هوى النّقاد حتى وان كان ذلك على حساب الجودة التي لم يغفلها ابن سلام .
ولذلك قال عن الأسود بن يعفر الذي وضعه في الطبقة الخامسة : ((وكان الأسود شاعرا فحلا وله واحدة طويلة رائعة لاحقة بأجود الشعر ولو كان شعرها بمثلها قدمناه على مرتبته))[2]
أما فيما يخص الطبقة الأولى الاسلامية : وهم حجير والفرزدق والأخطل وراعي الابل ، فان هذا التصنيف هو المعروف أو المتفق عليه في تلك الفترة بين العلماء غير أن الاتفاق على تقديم أحد من هذه المجموعة فلم يحصل ، وقد أكد هذا الاختلاف يونس بن حبيب بقوله : ((ما شهدت مشهدا قط ذكر فيه جرير والفرزدق وأجمع أهل المجلس على أحدهما ، وكان يونس يقدم الفرزدق بغير افراط وكان المفضل يقدمه تقدمه شديدة))[3]

ب ـ تعدد الأغراض

قد يكون ابن سلام قد أخذ في الاعتبار أثناء ترتيبه الشعراء

---

(1) ابن سلام ـ طبقات فحول الشعراء ج 1 ص 115 .
(2) المصدر السابق ج 1 ص 123 .
(3) المصدر السابق ج 1 ص 299 .

في الطبقات مقياس تعدد الأغراض نقول ذلك لأن ابن سلام لم يصرح بذلك به وضوح وانما نستنتج ذلك من خلال التطبيق ويتضح هذا من خلال تأخيره الى الطبقة السادسة كلا من عبد الله بن قيس الرقيات والاحوص، وجميل ونصيب ، وقدم عليهم شعراء في الطبقة الرابعة لا شك في قلّة أشعارهم ككعب بن جعل وسحيم بن وائل ونهشل بن وحيد بن ثور الهلالي والأشهب بن رميلة

ومراعاة تعدد الأغراض كان مقياسا يأخذ به النقاد قبل ابن سلام ولذلك لا نستبعد أن ابن سلام قد أدرك وجاوز ماكان يسوي في ذلك الوقت ، وقيل للبطين : ((أكان ذو الرمة شاعرا متقدما ؟ فقال البطين : اجمع العلماء بالشعر على أن الشعر وضع على أربع مدح رافع وهجاء واضع أو تشبيه مصيب أو فخر سامق ، وهذا كلّه مجموع في جرير والفرزدق والأخطل ، فأما ذو الرمة فما أحسن قط أن يمدح ولا أحسن أن يهجو ، ولا أحسن أن يفخر ، يقع في هذا كلّه دونا ، وانما يحسن التشبيه فهو وصاف شاعر)) .[1]

ولا شك أن تلّة اغراض الشاعر تؤخره عند ابن سلام طبقا لما كان معروفا في وقته وقد تأخر شعراء الطبقة السادسة وهم عبد الله بن قيس الرقيات والاحوص وجميل بن معمر ونصيب لنفس السبب الذي تأخر الذي من أجله تأخر أصحاب الغرض الواحد .

ويمكن بعد هذا التحليل لموقف ابن سلام النقدي وكذلك لمؤلفه أن نخرج بالملاحظات التالية :

1 - أنه جعل موضوع النقد هو ترتيب الشعراء في طبقات ، وكان نقده منصبا على أشخاص الشعراء والتفاضل بينهم ولم ينفذ الى دراسة

---

(1) المرزباني الموشح ص 273

اشعارهم وبالبيعة الحال كان هذا نتيجة لا ترتبط فكر ابن سلام بالتيارات النقدية والفكرية السائدة في عصره ، وهذا ما جعل عمله لا يتصف بالابداع بل محاولة للتنظيم وفق معايير كانت موجودة قبله .

2 - المعيار أو المقياس الذي ركّز عليه هو " الكثرة " بشكل واضح وهذا لتركيز علماء عصره وأهل الاختصاص في ذلك الوقت على هذا المعيار ، ويضيف معيارا آخر ويأتي في الدرجة الثانية وهو تعدد الأغراض الذي يراه مبررا كافيا لتقديم الشاعر .

أما عنصر الجودة الشعرية وان اقرّ به الا أنه لم يكن ضمن المعايير الفعالة في تقديم الشعراء

3 - الاضافة الفعلية :

تتمثل اضافة ابن سلام الفعلية في نقطتين الاولى : تحميهم = قاعدة الكثرة = في ترتيب الشعراء وكذلك تنوع الأغراض والجودة على جميع الشعراء بصفة تجريدية بعيدة عن الأسماء الشخصية أو الذاتية وهذا كان نتيجة لاجتهاده على استقلال النقد وهي النقطة الثانية تتمثل فيها الاضافة الفعلية لابن سلام في ميدان النقد ، والجاحظ على ضرورة أن يتوفر الناقد على ثقافة واسعة وذوق فني أساسه الدربة والمران .

وعلى ضوء ماتقدم يمكن أن نقول ان ابن سلام وان كان لم يطرق جوهر الابداع الأدبي ، وذهب الى التركيز على عناصر خارجية . الا أنه أعطى دفعا قويا لحركة النقد العربي في الميدان العلمي وتخليصه من الانطباعية الذاتية وهذا نهج جديد في النقد العربي يحسب لابن سلام .

وقد ذهب بعض المحدثين[1] ((الى أن ابن سلام يتقدّم بالنّقد الفني الى الامام شيئا كثيرا))

والواضح أنّ ابن سلام قد وضع الاساس لقيام نقد روس واع يتخصص له من يتقن كل مسائل الشعر فلا يصبح النّقد انا يجول فيه كل من يهوى من أصحاب الثقافات والميول المختلفة فيفسد الشعر والنّقد بدخيل ثقافته . ((ونحن اذا نلومنا لابن سلام في اطار عصره لا ننقصه حقه ولا نطالبه بأكثر مما فعل كما حاول الدكتور مندور اذ نطلب منه أن يتقدم بالنّقد الفني قرى على من يتقدم ؟ وهو أول من تعرف ممن حاول دراسة الشعر والشعراء هذه الدراسة المنهجية في النّقد العربي ومع ذلك ومع كل ما حوى الكتاب من مآخذ فان الكتاب قد وضع اللبنات الأولى للنقد المنهجي المبني على أسس علمية ، من حيث توجيهه الى تحرير النصوص وتخليص الشعر من الدخيل والتنبيه الى صلة الشاعر بما يروى له من شعر ، ووضع لكل هذا أسسا معقولة ، وان لم تكن كاملة أو مثالية))[2]

ان ابن سلام قد وضع اللبنة الأولى لايجاد فكرة ما مزود بالحس العلمي الدقيق يستطيع أن يقف في وجه التأثرية من هنا يعتبر الحس العلمي سندا صالحا لاصدار أحكام نقدية موضوعية والدليل على ذلك أن ابن سلام لم يتعسف ترتيب الشعراء بغير نظام وانما وضع قاعدة عامة مجودة للتفاضل بين الشعراء ثم طبقها عليهم جميعا بلا انحياز بعد استيعاب كل تيارات الذ في عصره وهذه بلاشك هي المقومات اللازمة لخلق روح العدل في الحكم على الشعراء عند النّقاد .

---

(1) الدكتور : محمد مندور ، النقد المنهجي عند العرب ص21

(2) الدكتور : محمد زغلول سلام تاريخ النقد العربي ج 1 ص 107 ـ 108